الرسالة

(غلاطية ٢: ١٦–٢٠)

يا إخوةُ إذ نعلَمُ أنَّ الإنسانَ لا يُبَرَّرُ بأعمالِ الناموسِ بل إنَّما بالإيمانِ بيسوعَ المسيحِ آمنَّا نحن أيضاً بيسوعَ المسيحِ لكي نُبَرَّرَ بالإيمانِ بالمسيحِ لا بأعمالِ الناموسِ إذ لا يُبَرَّرُ بأعمالِ الناموسِ أحدٌ من ذوي الجَسَدِ* فإن كنَّا ونحن طالِبونَ التبريرَ بالمسيحِ وُجدنا نحن أيضاً خطأةً أفيكونُ المسيحُ إذاً خادِماً للخطيئة. حاشا* فإنّي إن عُدتُ أبني ما قد هَدَمتُ أجعَلُ نفسي متعدِّياً* مُتُّ للناموسِ لكي أحيا للهِ* معَ المسيحِ صُلِبتُ فأحيا لا أنا بل المسيحُ يحيا فيّ. وما لي من الحياةِ في الجسدِ أنا أحياهُ في إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أحبَّني وبذلَ نفسَهُ عنّي.

فأحيا لا أنا

كان موضوع التبرير بالناموس المذكور في رسالة اليوم موضع نقاش في الكنيسة الأولى خصوصاً أن المؤمنين بيسوع المسيح أتوا من فئتَين: الأولى هي اليهود الذين كانوا يحيون بحسب الناموس الموسويّ، والثانية هي الأمميّون الذين لم يكونوا يعرفون الناموس اليهوديّ. هذه الإشكالية بحدّ ذاتها لم تعد مطروحة في أيامنا هذه، لكن الفكر الإنسانيّ الذي نتجت عنه هذه الإشكالية هو واحد، لذلك نرى المؤمنين ينقسمون بين من يقول أن إيماننا بالمسيح كافٍ للخلاص وبين من يعتبر أن الإيمان يجب أن يقترن بالأعمال.

بدايةً يجب أن نتوقّف عند تعبير بولس الرسول: «الإنسان لا يُبرّر بأعمال الناموس بل إنما بالإيمان بيسوع المسيح» (غل ٢: ١٦). في هذا القول لا يتحدث بولس الرسول عن أعمال بالمطلق، بل يحدّد «أعمال الناموس». إذاً، لم يقل الرسول إن المؤمن يجب ألّا يقوم بأيّ عمل، بل وضّح أن «أعمال الناموس» لا تبرر الإنسان. «أعمال الناموس» هي التمسّك بحرفية الناموس والاعتقاد أن فيها خلاصاً بحدّ ذاتها، لذلك قال بولس الرسول إن «الحرف يقتل ولكن الروح يحيي» (٢ كو ٣: ٦).

من الواضح أن أحداً لا يستطيع أن يتبرر بأعمال الناموس لأن متطلبات الناموس كثيرة جداً ولا يستطيع أي إنسان أن يلبّيها كلّها. إذا حاولنا أن نتذكر على الأقل الوصايا العشر في الناموس، لن يتمكن كلّ المؤمنين من تعدادها كلّها. فلنقرأ فقط أولى هذه الوصايا في سفر الخروج: «ثمّ تكلّم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (خر ٢٠: ١–٣). يتضح لنا بدايةً أن الله لم يتكلّم على وصايا بل «كلمات»، والكلمة تساعد على التواصل وعلى معرفة الآخر. في كلمته الأولى، وقبل أن ينهى عن أي أمر أو يوصي بأي شيء، أعطى الرب تعريفاً عن ذاته بأنّه الإله الذي يحرّرنا من بيت العبودية. إذاً، الهدف الأساسيّ من كلّ الناموس أن نعرف الإله، وأن نعرف أنّه هو الذي

العدد ٣٨ / ٢٠١٧

الأحد ١٧ أيلول

الأحد بعد رفع الصليب

تذكار الشهيدة صوفيا وبناتها

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الرابع

يحرّرنا من كلّ عبودية، هكذا تكون كلّ الوصايا اللاحقة أدوات تساعد المؤمن ليصل إلى الغاية الأساسيّة من وجوده ألا وهي معرفة الله التي فيها حياة أبدية (يو ١٧: ٣).

غالباً ما يستعبد الإنسان ذاته لأمور كثيرة، وأكثر ما يكبّلنا ويجعلنا غير قادرين على الحراك هو «الأنا». نذكر على سبيل المثال الشاب الذي أتى إلى يسوع وسأله ماذا يفعل ليرث الحياة الأبدية. عندما أشار يسوع إلى الوصايا، أجاب الشاب بأنّه حفظها منذ حداثته. هذا دليل آخر على أن الوصايا بحدّ ذاتها لا حياة فيها وإلا لما شعر الشاب بأن شيئاً ينقصه بعد. هنا وضع الرب إصبعه على جرح الشاب وقال له: «يعوزك أيضاً شيء: بع كلّ ما لك ووزّع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» (لو ١٨: ٢٢). لكن الشاب حزن بسبب غناه الكثير الذي لم يستطع أن يتركه. الناموس أُعطي ليرشدنا إلى المسيح، كالإشارة التي نجدها على الطريق لتدلّنا كيف نصل إلى المكان الذي نقصده، فإن توقّفنا عند الإشارة ولم نتابع سيرنا كما ترشدنا الإشارة لن نصل إلى مبتغانا.

أتى ربُّنا ليمنحنا الخلاص، لكن هذا الخلاص ليس منّا بل هو عطية من الله. لكي نشارك في هذا الخلاص الإلهي يجب أن نقول مع يوحنا المعمدان: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠). كلّ جهادات المؤمن من صلوات وتوبة وأعمال رحمة... ليست هي بحدّ ذاتها مصدر خلاصه بل هي تساعده لينقص هو ويزيد المسيح فيه. نحن في المعمودية نموت ليحيا المسيح فينا. هذا ما أوضحه بولس الرسول: «مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠). خلافاً لذلك تنتفخ الأنا في المؤمن حتى بالأعمال الصالحة، في حين أن بولس الرسول يعلّمنا ألا نفتخر بشيء «إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦: ١٤). يجب أن نفتخر بصليب المسيح وليس بصليبنا الذاتيّ، وإن كان لنا من افتخار فنحن لا نفتر بقوّتنا بل بضعفنا الذي تظهر من خلاله نعمة الرب القائل: «تكفيك نعمتي لأن قوّتي في الضّعف تُكمَل»، ونحن بدورنا نقول: «فبكل سرور أفتخر بالحريّ في ضعفاتي لكي تحلّ عليّ قوة المسيح» (٢ كو ١٢: ٩).

أن أُصلَب مع المسيح هذا يتطلب أعمالاً وجهاداً، لكن ليست الأعمال بحدّ ذاتها هي الهدف، بل الهدف هو أن يحيا المسيح فيّ. هنا يجد معظم الناس صعوبةً في أن يصلبوا ذواتهم، فإمّا يبتعدون عن الجهاد الروحيّ ليبقوا ملتصقين بالشهوات، وإمّا يتمّون الجهاد الروحيّ من دون أن يميتوا الأنا فيهم فيغدو جهادهم هو الهدف بحدّ ذاته فيصير مدعاة كبرياء وانتفاخ للأنا. أما بولس الرسول فهو واضحٌ في خبرته الشخصيّة التي نقلها بكلماته الخاصة، وقد علّمنا أن نُصلبَ مع المسيح ليحيا المسيح فينا. أن نحيا مصلوبين هو أمر صعب بالتأكيد، لكن علينا أن ننظر إلى الفائدة من الصليب وأن نتوقّع معونة الرب القائل: «من دوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥). من يصلب نفسه مع المسيح يتحرّر من العبوديّة، ويستحيل إنساناً جديداً كما هي الحال في المعموديّة، فتموت أناه التي كانت تقتله ويحلّ مكانها المسيح الذي يحييه.

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ مَن أراد أن يتبعَني فليكفُرْ بنفسِه ويحمِلْ صليبَهُ ويتبَعْني. لأنَّ من أراد أن يخلِّص نفسَهُ يُهلكها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيلِ يخلِّصها* فإنَّه ماذا ينتَفِعُ الإنسانُ لو ربح العالَمَ كلَّهُ وخسر نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسهِ* لأنَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسق الخاطئ يستحي به ابنُ البشر متى أتى في مجد أبيهِ مع الملائكة القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قوماً مِنَ القائمينَ ههنا لا يذوقونَ الموتَ حتى يَرَوا ملكوتَ اللهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

إننا نهتم لكي يكون لنا خدم كثيرون يخدموننا بإخلاص، ولكي نترك ميراثاً كبيراً لأولادنا بعد مماتنا ولكي تتحلّى الزوجة بأجمل الحلى

الذهبية الثمينة وتلبس أفخر الملابس، لكننا لا نفكّر قطعاً بنفوسهم بل بالمقتنيات، لا نفكّر بالزوجة بل بما يزيّنها ولا بالأولاد بل بما يرثون. فما أشبهنا بصاحب بيت تكاد جدرانه تسقط. فبدلاً من أن يهتم بترميمها أحاطها بسياج فقط. أو برجل يحضر لجسده الملابس الفاخرة ولا يعالج أسقامه ومرضه، ويترك سيدة البيت تتألم وتذرف الدموع وتهتمّ بجارياتها وأشغالهن وبأواني البيت وأثاثه. نحن نعمل هكذا أيضاً، فبينما تتألم أنفسنا من وطأة المرض وشدّته، نستسلم للغضب والنميمة والأعمال المخالفة للعقل السليم وللعجرفة والاضطراب، مع أن هذه النفوس ملتصقة بالتراب، وقد مزقتها وحوش كثيرة، ومع ذلك فلا نهتم بخلاصها من الشهوات بل نهتم بالبيت والخدم.

إن جمحت دابة أمامنا نغلق الأبواب ونختبئ من

النبي يونان

تُعيّد الكنيسة المقدّسة في الحادي والعشرين من شهر أيلول لتذكار النبي يونان. تَرِد قصّة النبي يونان في السّفر الحامل اسمه في العهد القديم من الكتاب المقدّس. يُخبرنا هذا السفر أنّ الله طلب إلى النبي يونان الذهاب إلى أهل نينوى، لينادي بخراب المدينة بسبب ازدياد شرّ أهلها، أمّا هو فهرب من هذه المهمّة بحرًا نحو ترشيش. إلاّ أنّ الله أمَرَ البحر فاهتاج. نام يونان في جوف السفينة من دون أن يُشعره ضميره بخطيئته حين كانت السفينة تتخبّط في أمواج البحر. بعدما بذل طاقم السفينة كلّ جهدهم لإنقاذ أنفسهم من الغرق ألقوا قرعةً لمعرفة سبب غضب الله عليهم، فوقعت القرعة على يونان النبي، فأيقظوه وسألوه عمّا اقترفه وكان جوابه: «خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم، لأنني عالمٌ أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم» (يون ١: ١٢). رمى البحّارة النبي يونان في البحر فهدأ، ثمّ ابتلعه حوتٌ بتدبيرٍ من الله.

بقي النبي في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يناجي الربّ. أخيرًا أمر الربّ الحوت بأن يقذفه إلى البرّ. ذهب بعدها النبي يونان إلى نينوى كما أمره الربّ ثانيةً، وأنبأ أهلها بخرابها. هؤلاء، بعد أن سمعوا النبوءة، عادوا عن شرّهم وتابوا، فقرّر الله ألاّ يصنع بهم ما كان ينوي فعله. حينئذٍ، حزن يونان واغتاظ، وعاتب الربّ على الرجوع عن كلامه، وطلب إليه أن يأخذ منه نفسه، ثمّ خرج من المدينة وجلس ينتظر جواب الربّ. جلس تحت مظلّةٍ كان قد صنعها لتقيه شمس النهار، لكنّ الله أعدّ له يقطينة لتظلّله، ففرح بها يونان النبي فرحًا عظيمًا. ثم أمر الله دودةً بضربِ اليقطينة فيَبستْ، فعاد يونان واغتمّ. «فقال الله ليونان: هل اغتظتَ بالصواب من أجل اليقطينة؟ فقال: اغتظتُ بالصواب حتى الموت. فقال الربّ: أنتَ شفقتَ على اليقطينة التي لم تتعب فيها ولا ربّيتَها، التي بِنْتَ ليلة كانت وبِنْتَ ليلة هلكت. أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي يوجد فيها أكثرُ من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم، وبهائمُ كثيرة؟» (يون ٤: ٩–١١).

تعبّر قصّة النبي يونان عن الصراع بين الكبرياء البشري وإرادة الله. مَن أراد أن يسير في طريق الله، ينبغي أن ينكر ذاته وكبرياءه، أن يجحد نفسه وينساها، وألّا يضع أمامه سوى الله وحده. مشكلة يونان النبي أنّ تكبّره كان عظيمًا، وقد وقف حائلاً بينه وبين وصيّة الله. لعلّه كان يفكّر في نفسه قائلاً: «ماذا أفعل إن اصطدمْت كرامتي بطريقة الله في العمل؟ فإن ناديتُ على مدينة نينوى بالهلاك، وتابتْ، وترأف الله عليها لئلّا تهلك، حينئذٍ ستسقط كلمتي، ويكون الله قد انتقص من كرامتي بسبب رحمته ومغفرته. ماذا سيكون موقفي كنبيّ، وما الفكرة التي قد يكوّنها الناس عنّي؟ الأفضل لي أن أبتعد عن طريق الله الذي ينتقص من الكرامة!». هكذا، ذهب يونان إلى ترشيش ناسيًا أنّ الله موجودٌ هناك أيضًا. ركب السفينة وهو يعلم أنّ الله هو إلهُ اليابسة والبحر أيضًا. لم يَتُب على الرغم من أنّه كان مهدَّدًا بالغرق. لم يقُل أخطأتُ يا ربّ في هروبي، سأطيع وأذهب

إلى نينوى، بل فضّل أن يُلقى في البحر. لم يستعطف الله، لم يعتذر عن هروبه، لم يعده بالذهاب، ولم يسكب نفسه في الصلاة أمام الله. فضّل أن يموت بكرامته لئلاّ تسقط كلمته. هكذا أُلقي في البحر وابتلعه الحوت.

وجد يونان في جوف الحوت خلوةً روحيّةً هادئة، ففكّر في حالته. إنّه بين الحياة والموت، عليه أن يتفاهم مع الله، فبدأ يصلّي. لا يريد أن يعترف بخطيئته ويعتذر عنها، وفي الوقت نفسه لا يريد أن يبقى في هذه الحالة. اتّخذ موقف العتاب، وصلّى إلى الله. الجانب الإيجابيّ في صلاته أنّه رجع إلى إيمانه. آمنَ بأنّ صلاته ستُستَجاب، وقال للربّ: «أعودُ أنظر هيكل قدسك». آمن أنه حتى لو كان في جوف الحوت، فلا بدّ من أنه سيخرج منه ويرى هيكل الربّ. نجح الله من خلال الحوت بإقناع النبي يونان بحتمية تنفيذ وصيته، فنذر يونان بأنّه إن خرج من جوف الحوت، سيذهب إلى نينوى إذ قال للربّ: «أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك، وأوفي بما نذرته» (يون ٢: ٩).

بعد ذلك، أوصل النبي يونان الرسالة إلى الناس ونجحت الرسالة روحيًّا. تاب أهل نينوى وتذلّلوا أمام الربّ وصاموا وصلّوا، وقَبِلَ الربّ توبتهم ولم يُهلك المدينة. رأى النبي أنّ كلمته قد سقطت، ولم تهلك المدينة فاغتاظ. كان غيظه دليلاً على كبريائه الذي لم يتخلّص منه. في كلّ هذا لم تكن مشيئة يونان موافقةً لمشيئة الله. لم يكتفِ يونان بهذا، بل عاتبَ الله وبرّر ذاته، وظنّ أنّ الحقّ إلى جانبه. صلّى إلى الله وقال: «آه يا رب، أليس هذا كلامي إذ كنتُ بعد في أرضي؟ لذلك بادرتُ إلى الهرب إلى ترشيش، لأنّي علمتُ أنك إلهٌ رؤوفٌ ورحيمٌ بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشرّ» (يون ٤: ٢). إلاّ أن الله أظهر له أبوّته لجميع الناس عبر مَثَل اليقطينة والدودة، ففهم يونان خطيئته وتاب ورجع إلى ربّه.

عجيبٌ هو الإنسان حينما يجامل نفسه على حساب الحق، ويرفض الاعتراف بالخطأ مهما كانت أخطاؤه واضحة. لقد استخدم الله في قصّة النبي يونان أربعة أمثلة من مخلوقاته غير العاقلة التي كُلّفت بمهامّ صعبة، وأتمّتها على أكمل وجه ومن دون نقاش: البحر، والحوت، واليقطينة، والدودة. أعطى الله النبي يونان درسًا من كلّ تلك الكائنات غير العاقلة التي كانت أكثر تنفيذًا لمشيئته من هذا النبي العظيم، والله لم يتركه ليهلك بل هداه إلى طريقه.

صفحة فايسبوك

ببركة صاحب السيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس، تمَّ إنشاء صفحة على موقع فايسبوك يمكنكم من خلالها الإطلاع على أخبار الأبرشية ونشاطاتها، وذلك على الرابط التالي:
www.facebook.com/metbei

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

وجهها. أما الآن فنغضّ النظر عن الوحوش الكثيرة، أي الأفكار الرديئة التي تمزق نفوسنا. إننا نراقب الوحوش مراقبة شديدة فنحبسها في الأماكن الخالية من الناس، مقيّدين إياها بالسلاسل والأصفاد. أما النفس التي هي مجلس الشورى وقصر الملك ودار الحكومة فتدخل إليها الوحوش رافعة أصواتها وضجيجها بقرب العقل نفسه، بقرب عرش الملك. من هذا ينتج عدم الانتظام والاضطراب أينما كان في أعماق النفس وخارجها، فتشبه حينئذ مدينة هجم عليها البرابرة ودخلوها. هكذا يحل بنا ما يحل بالطيور الصغيرة إذ تدخل الأفعى أعشاشها لتستولي عليها فترفع أصواتها الحزينة وتطير خائفة مذعورة لا تعلم كيف تنجو من الخطر.

القديس يوحنا الذهبي الفم